المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	البنية العميقة و دورها في التحليل النحوي لدى سيبويه
المصدر:	دراسات عربية وإسلامية
الناشر:	جامعة القاهرة - مركز اللغات الاجنبية والترجمة التخصصية
المؤلف الرئيسي:	زيد، فضل يوسف يوسف
المجلد/العدد:	ج 36
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2011
الشهر:	صفر - يناير
الصفحات:	141 - 179
رقم MD:	146254
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, AraBase
مواضيع:	اللغة العربية، النحو العربي، التحليل النحوي، القواعد التحويلية، النحو التحويلي، الاشتقاق ، اسم الفاعل، اسم الموصول، النظريات اللغوية، اسلوب الاستفهام، الهمزة، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/146254

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

زيد، فضل يوسف يوسف. (2011). البنية العميقة و دورها في التحليل النحوي لدى سيبويه.دراسات عربية وإسلامية، ج 36، 141 - 179. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/146254

إسلوب MLA

زيد، فضل يوسف يوسف. "البنية العميقة و دورها في التحليل النحوي لدى سيبويه."دراسات عربية وإسلاميةج 36 (2011): 141 - 179. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/146254

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

البنية العميقة ودورها
في التحليل النحوي لدى سيبويه

د. فضل يوسف يوسف زيد (*)

(لم يشقَ النحاة بعلاج النحو بعد أن جاءهم كتابُ سيبويه علي النجدي ناصف)

تقديم :

هذه محاولة لإعادة قراءة بعض تراثنا النحوي في ضوء منهج لغوي حديث ؛ إذ قد بات من الضروري، بل والحتمي العودة إلى تراثنا النحوي ونحن متسلحون ببعض المناهج اللغوية الحديثة، ومحاولة إعادة قراءة هذا التراث من منظور لساني حديث في محاولة لكسر الجدار القائم بين التراث وبين المناهج اللغوية الحديثة؛ لأنهما ــ في رأيي ــ توأم ملتصق، وأشبه شيء بحصانين يجرّان عربة واحدة ومحاولة الفصل بينهما يقضي على الحصانين و على العربة جميعا.

لا ينبغي إذن أن نصمّ آذاننا ونعصبَ أعيننا عما تركه النحاة من تراث يدعو للإعجاب والفخر، ولا عن النظريات العلمية الحديثة التي تهتم بدراسة اللغة ؛ فمن المسلم به أن لا حديث بدون قديم، ولا معاصرة بغير أصالة.

إن الواجب العلمي يفرض علينا ــ نحن الباحثين ــ أن نتصل بتراثنا النحوي، وأن نحاول ربط هذا التراث بالتطورات اللغوية الحديثة، ومما يؤكد ضرورة الجمع بين القديم والحديث، وأهمية التراث النحوي ما دعا إليه تشومسكي نفسه صاحب نظرية النحو التوليدي التحويلي Generative and transformational grammar theory التي أحدثت ثورة في الدرس اللغوي، من ضرورة العودة إلى مناهج النحو القديمة مشيرا إلى جهود العرب القدماء، ومستلهما الطريقة الإعرابية القديمة في الوصول إلى نوع من القواعد العلمية.(١)

(*) مدرس بكلية دار العلوم . جامعة القاهرة . قسم النحو والصرف والعروض.

(١) راجع النحو العربي والدرس الحديث د . عبده الراجحي ص ١١٩ ــ ١٣٣ .

ولعل أفضل نظرية لغوية حديثة كانت نظرية تشومسكيChomsky السابقة عندما نشأت في خمسينيات القرن الماضي ١٩٥٧م، ونشر صاحبها كتابه الأول: التراكيب النحوية syntactic structures ثم أردف ذلك بكتاب له أطلق عليه اسم عوامل النظرية النحوية Aspects of the theory of syntax مضيفا فيه بعض التعديلات إلى تلك النظرية.

وتقوم هذه النظرية على أساس أن كل جملة من جمل اللغة لها تركيب باطني أو بنية عميقة deep structure ، وتركيب ظاهري أو بنية سطحية surface structure، وأن دراسة البنية العميقة تقدم التفسير الدلالي semantic explanation للجملة، ودراسة البنية السطحية تقدم التفسير الصوتي لهاphonologicalexplanation، وأن هناك قواعد تحويلية transformational rules تربط بين التركيبين، (والتركيب الباطني الذي يعطي المعنى الأساسي للجملة هو مجرد وفرضي و يتوقف عليه معنى الجملة بعد أن تصبح تركيبا ظاهريا.)[١] وإلى جانب القواعد التحويلية التي يتم من خلالها تحويل التراكيب الباطنية إلى تراكيب ظاهرية هناك القواعد التوليدية generative rules التي تقدم الوصف التركيبي للجملة structural description، وهذه القواعد لها القدرة على تمييز الجمل الصحيحة من غيرالصحيحة، وأن النحو صالح لتوليد كل الجمل النحوية في اللغة، وليست كل القواعد التوليدية تحويلية بالضرورة، والعكس صحيح فكل قواعد تحويلية هي توليدية ؛ لأن كل القواعد التحويلية تصف جمل اللغة بطريقة واضحة ومتسلسلة.[٢]

والقواعد التحويلية التي تنظر إلى الجملة على أنها مشتقة من تركيب آخر، وتنهض بمهمةتحويل التراكيب الباطنية إلى تراكيب ظاهرية تشبه شبها غير بعيد ما جاء في النحو العربي، وأهم هذه القواعد هي : الحذف deletion، والإحلال replacement، والزيادة addition، والتبادل permutation.[٣]

---

(١) راجع قواعد تحويلية للغة العربية د . محمد الخولي ص ٢٢.

(٢) السابق نفسه ص ٢٢ ــ ٢٤ .

(٣) انظر النحو العربي والدرس الحديث ص ١٤٠.

وبعد، فإن النحو العربي يحمل في طياته من الطاقات التفسيرية ما يجعله يقف شامخا بالنظر إلى تلك المناهج اللغوية الحديثة، (فهو لم يقف عند الظواهر اللغوية بالوصف وحسب، بل تعدى ذلك إلى تفسير ذلك تفسيرا عقليا) [1]، ونحن نلحظ ذلك في مواطن كثيرة عند سيبويه، فهل علينا إذن أن نحاول قراءة بعض تراثنا النحوي وفق أسس علمية شاملة وعلى هدى من بعض أصول النظريات والتطورات اللغوية الحديثة ؟

هذا ما حاول البحث أن ينهض به إيمانا من صاحبه بضرورة عدم الانغلاق الكامل على تراثنا ، وتجاهل التطورات اللغوية الحديثة في مجال علم اللغة أو إغفالها، بل الجمع بين القديم والحديث الذي يضئ جوانب من هذا التراث الشامخ ، ويضيف إليه أبعادا معرفية جديدة .

وأما عن كتاب سيبويه موضوع البحث فقد نال من الشهرة والذيوع ما لا يسمح بزيادة مستزيد،وربما كان كافيا ما ذكره المبرد عن الكتاب بقوله : (لم يُعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ؛ وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم مفتقرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره)[2] .

ولقد حاولت قراءة الكتاب لسيبويه قراءة علمية دقيقة فامتلأت نفسي اعتزازا بتراثنا النحوي ، وإكبارا له ؛ ذلك أن هذا السفر القيم اشتمل على قضايا نحوية ولغوية تظهر في غير خفاء ولا لبس سبق نحوينا لكثير من مفردات النظريات اللغوية الحديثة، وقد أدرت القول في هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، ألممت في المقدمة إلمامة عاجلة بضرورة الجمع بين التراث النحوي والنظريات اللغوية العلمية الحديثة، ومفهوم البنية العميقة الذي أخذ مسميات مشابهة لدى سيبويه كالأصل والتأويل والتقدير وغيرها،كما ألممت في عجالة أيضا ببعض أصول النظرية التحويلية، ولم يكن ممكنا بطبيعة الحال وضع كل ما جاء في الكتاب من مواطن اعتمد فيها سيبويه على فكرة البنية العميقة مادة لهذه الدراسة، وإن كنت قد تتبعتها

---

(١) السابق نفسه ص ١٤١ .

(٢) مجالس العلماء للزجاجي ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ ، وسيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصف ص ١٢٨ ــ ١٩٩ .

جميعا ؛ فهي كثيرة كثرة تؤدي إلى طول البحث، وقد اكتفيت باختيار عينة ممثلة لهذه الظاهرة، وحاولت إبراز دورها في التحليل النحوي لدى سيبويه في مواطن كثيرة من كتابه بما يؤكد أن نحاتنا قد تعاملوا مع مفردات النظرية التحويلية التي خرجت علي الناس في أوائل خمسينيات القرن الماضي، وأن بذور هذه النظرية كانت مبثوثة في تراثنا النحوي من غير تسمية صريحة وذكر واضح لمصطلحات تلك النظرية، ولكنها موجودة تحت عباءة " التقدير " و" العدول " و"الإبدال " و"الأصل" و"التأويل "والمعنى" وغيرها. وتحدثت في المبحث الأول عن البنية العميقة في كثير من الأبواب النحوية المختلفة سواء أكانت في الكلمة المفردة أم في التراكيب، ودورها في التحليلِ النحوي. كما تحدثت عن تعدد البنى العميقة للتركيب الواحد أو افتراض أكثر من أصل للبنية السطحية المنطوقة، كما عرضت لاختلاف البنى السطحية ودور البنية العميقة في تفسير هذا الاختلاف وكيفية تعامل سيبويه مع هذا النوع من التراكيب، وتحدثت في المبحث الثاني عن التحويل الدلالي أو التحويل في المعنى لدى سيبويه. وهو نوع جديد من العمق الدلالي للجملة والتركيب سبق إليه سيبويه منذ أكثر من ألف عام ، وتحدثت في المبحث الثالث عن البنية العميقة وسياق الحال context of situation ودورهما في التحليل النحوي وبناء التركيب، أما الخاتمة فتشتمل على أهم ما توصل إليه البحث من النتائج.

وعلى الله قصد السبيل.

المبحث الأول : البنية العميقة في الكتاب

ـ في الكلمة المفردة

اعتمد سيبويه في كثير من معالجاته النحوية على فكرة "الأصل والفرع"، فهو يفترض دائما أن هناك أصلا للكلمة قد انبثق عنه فرع، وتقترب هذه الفكرة التي شغل بها سيبويه في كثير من مباحث الكتاب بفكرة " البنية العميقة" و" البنية السطحية " عند التحويليين transformationalists (الذين رأوا أن قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية في فهم " البنية العميقة " وتحولها إلى "بنية السطح " وعرضوا لها في مواطن مختلفة منها بحثهم للألفاظ " ذات العلامة " marked، وتلك التي بلا علامة

unmarked، وقرروا أن الألفاظ "غير المعلمة" هي الأصل، وهي أكثر دورانا في الاستعمال، وأكثر تجردا؛ ومن ثم أقرب إلى البنية العميقة، فالفعل في الزمن الحاضر في الإنجليزية ــ مثلا ــ غير معلم بينما الماضي تلحقه علامة (ed –) = jumbed, loved، والمفرد غير معلم (boy-book). والجمع تلحقه علامة (S)= – boys books، وعليه فإن الزمن الحاضر أصل والماضي فرع، والمفرد أصل والجمع فرع)[1]

وتلتقي فكرة البنية العميقة في الكلمة المفردة مع فكرة الأصل والفرع التي اعتمدها سيبويه في كثير من الظواهر اللغوية التي عرض لها، حيث نراه يبحث عن "الأصل " الذي صدر عنه "الفرع" في محاولة لتفسير الظواهر إلى جانب وصفها ؛ فالاسم أصل والفعل فرع ؛ ولذلك فالفعل يشتق منه، كما أن الاسم قد يستغني عن الفعل، ولا يمكن العكس، يقول سيبويه : (واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء ؛ لأن الأسماء هي الأولى، وهي أشد تمكنا، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون، وإنما هي من الأسماء. ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم وإلا لم يكن كلاما، والاسم قد يستغني عن الفعل، تقول : الله إلهنا، وعبد الله أخونا.) [2] فسيبويه يؤكد أن الاسم أول أي أصل يشتق منه الفعل كاشتقاق قتل من القتل وهكذا.

والنكرة أصل والمؤنث فرع ؛ ولذلك يقول سيبويه : (واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنا ؛ لأن النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرف به. فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة .) [3] ، والمذكر أصل والمؤنث فرع ؛ ولذلك يقول : (واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث ؛ لأن المذكر أول، وهو أشد تمكنا، وإنما يخرج التأنيث من التذكير.)[4] .

---

(١) انظر النحو العربي والدرس الحديث ص ١٤٤ .

(٢) الكتاب لسيبويه ١ / ٢٠ ــ ٢١.

(٣) الكتاب ١ / ٢٢ .

(٤) الكتاب ١ / ٢٢ ، وانظر ٣ / ٢٤١ ، ٢٤٢ .

وتظهر فكرة الأصل والفرع التي تشبه البنية العميقة والسطحية في الكلمات المفردة أكثر ما تظهر في باب الإعلال والإبدال، يقول سيبويه ــ مثلا ــ في باب حروف الإبدال : (وأما (التاء) فتبدل مكان الواو فاء في اتّعد، واتّهم،واتّلج، وتراث، وتجاه ونحو ذلك. ومن الياء في افتعلت من يئست ونحوها...وأما (الدال) فتبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي في ازدجر ونحوها . والطاء منها في افتعل إذا كانت بعد الضاد في افتعل، نحو (اضطهد). وكذلك إذا كانت بعد الصاد في مثل اصطبر)[1] .

فالتاء في اتعد واتهم واتلج وتراث وتجاه أصلها الواو فاءً في كل ما سبق. والأصل : اوتعد، واوتهم واوتلج ووراث،ووجاه. والقانون التحويلي الذي يربط بين البنية العميقة للكلمات السابقة أو أصلها وبين بنيتها السطحية أو فرعها وشكلها الصوتي والنهائي هو الإحلال أو الاستبدال replacement حيث أبدلت الواو تاء في كل ما سبق.والبنية العميقة ل(ازدجر) هي : (ازتجر)، وقد تحولت من العمق إلى السطح بقانون الإحلال أو الإبدال ؛حيث أبدلت التاء دالا، وكذلك الأمر في (اصطبر) أصلها (اصتبر) أبدلت التاء طاء ولولا فكرة الأصل والفرع ما عرفنا ذلك.

وتظهر فكرة البنية العميقة في الكلمات المفردة في تناول سيبويه فيما جاء معدولا عن حده من المؤنث حيث يقول : (ومما جاء من الوصف منادى وغير منادى: يا خباث وبالكاع.فهذا اسم للخبيثة وللكعاء، ومثل ذلك قول الشاعر، النابغة الجعديّ :

فقلت لها عيثي جَعار وجرّري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصرُهْ

وإنما هو للجاعرة،... وقال الشاعر :

لحقت حلاقِ بهم على أكسائهم ضرب الرقاب ولا يهم المغنم

فحلاق معدول عن الحالقة، وإنما يريد بذلك المنية لأنها تحلق... فهذا كله معدول عن وجهه وأصله، فجعلوا آخره كآخر ما كان للفعل،لأنه معدول عن أصله)[2]

---

(١) الكتاب ٤ / ٢٣٩ .

(٢) الكتاب ٣ / ٢٧٢ ــ ٢٧٤ .

ويستمر سيبويه في تقديم أمثلة كثيرة لهذا النوع من العدول، يورد الكلمة وأصلها الذي عدلت عنه وانبثقت منه، أي أنه يورد الكلمة وبنيتها العميقة ؛ فجعار أصلها: جاعرة، وحلاق أصلها : حالقة وهكذا، وقد تم تحويل الكلمة من بنيتها العميقة إلى بنيتها السطحية من خلال القوانين التحويلية الآتية :

التبادل permutation حيث تقدمت االعين على الألف في (جعار) و اللام على الألف في (حالقة)

الحذف deletion حيث تم حذف التاء المربوطة في الكلمتين.

الإحلال أو التعويض replacement حيث تم إحلال الكسرة في آخر الكلمتين علامة بناء محل الفتحة.

جاعرَة ← جعارَة ← جعارَ ← جعارِ

حالقَة ← حلاقَة ← حلاقَ ← حلاقِ

وفكرة التحويل واضحة في مصطلح "العدول "، فهناك أصل عدل عنه، وتحولت عنه كلمة مختلفة في الشكل عن ذلك الأصل، وكأن سيبويه يشير إلى البنية العميقة التي تتحول عنها البنية السطحية كما يقول التحويليون.

وإذا ما انتقلنا إلى التراكيب وجدنا أن بعض العناصر اللغوية تشكل مع بعضها البعض وحدات لغوية تكون بمنزلة الاسم الواحد ، وتقع موقع الاسم في الوظائف النحوية المختلفة ، وهوما يطلق عليه الركن أو المركب الاسمي [1] كاسم الفاعل مع معموله ، والمصدر المؤول من أن والفعل أو ما والفعل أو أنّ وصلتها ، والمركب الإضافي ، وغيرها وقد عني سيبويه بإظهار البنية العميقة في المركبات الاسمية المختلفة ، كما عني بإظهار البنية العميقة في كثير من الأبواب والأساليب النحوية كالنداء ، والاختصاص ، والاشتغال وغيرها ؛ بحيث يمكن القول إن سيبويه أدار كتابه على فكرة البنية العميقة ، والقوانين التي تربطها بالسطح المنطوق .

---

(١) انظر قضايا ألسنية تطبيقية د . ميشال زكريا . الفصل السادس (الركن الاسمي عند سيبويه ص ١١٥ ــ ١٥١).

في اسم الفاعل الذي يعمل عمل الفعل :

كما تظهرفكرة البنية العميقة في اسم الفاعل الذي يعمل عمل الفعل ويكون مع معموله مركبا اسميا، ويشغل وظائف نحوية مختلفة ؛ واسم الفاعل وغيره من المشتقات ملحق بفعله في العمل ؛ لأن الأصل في العمل يكون للفعل ؛لأنه في معناه ومن لفظه فجرى مجراه في العمل كما جرى مجراه في الإعراب، يقول سيبويه : (هذا باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى، وما يعمل فيه، وذلك قولك : هذا الضارب زيدا، فصار في معنى هذا الذي ضرب زيدا، وعمل عمله ؛ لأن الألف واللام منعتا الإضافة وصارتا بمنزلة التنوين.)[1] .

فجملة (هذا الضارب زيدا) تتعادل تركيبيا مع جملة (هذا الذي ضرب زيدا)، والبنية العميقة للمركب الاسمي (الضارب زيدا) هي : (الذي ضرب زيدا)، وتم تحويله من المقصود إلى المنطوق بقانون الإحلال أو الاستبدال replacement، حيث استبدل بالفعل (ضرب) اسم الفاعل (الضارب).

الذي ضرب زيدا ←——— الضارب زيدا

ويقول سيبويه : (هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يَفْعَلُ كان نكرة منونا، وذلك قولك : هذا ضاربٌ زيداً غدا. فمعناه وعمله مثل : هذا يضرب زيدا غدا.)[2].

فالأصل في جملة (هذا ضاربٌ زيدا غدا) هو : (هذا يضرب زيدا غدا)، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح بقانون تحويل الإحلال أو الاستبدال replacement، حيث حل اسم الفاعل (ضارب) محل الفعل (يضرب).

هذا يضرب زيدا غدا ←——— هذا ضاربٌ زيدا غدا

ويستمر سيبويه في تقديم أمثلة من هذا النوع فيقول : (واعلم أن العرب يستخفون فيحذفون التنوين والنون، ولا يتغير من المعنى شيء، وينجرّ المفعول لكفّ

---

(١) الكتاب ١ / ١٨١ ــ١٨٢ .

(٢) الكتاب ١ / ١٦٤ .

التنوين من الاسم فصار عمله فيه الجر، ودخل في الاسم معاقبا التنوين... ومما جاء في الشعر غير منون قول الفرزدق :

أتاني على القعساء عادلَ وَطْبِه برجْلَيْ لئيم واستِ عبد تعادلهْ

يريد : عادلا وطبَه.)[1]

فالأصل في تركيب (عادل وطبِه) هو (عادلا وطبَه) وقد جرى التحويل من العمق إلى السطح من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الحذف deletion حيث حذف التنوين من اسم الفاعل (عادلا)، وقد ذكر سيبويه هذا القانون التحويلي بقوله: وينجر المفعول لكف التنوين من الاسم)

الإحلال أو الاستبدال replacement حيث تم إحلال الكسرة علامة للجر في المركب الاسمي (وطبه) محل الفتحة بعد حذف التنوين من اسم الفاعل، وقد ذكر سيبويه هذا القانون التحويلي بقوله : (وينجرّ المفعول لكف التنوين من الاسم، ودخل في الاسم معاقبا التنوين)

عادلاً وطبَه ← عادلَ وطبَه ← عادلَ وطبِه

في المصدر الذي يعمل عمل فعله :

تتبدى فكرة البنية العميقة في التناول النحوي لدي سيبويه في المصدر الذي يعمل عمل فعله سواء أكان جملة مفيدة أم لم يكن، وفي كلتا الحالتين يكون بدلا من اللفظ بالفعل كما يقول سيبويه في مواضع كثيرة من كتابه . ومن أمثلة ذلك قوله : (هذا باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه، وذلك قولك : عجبت من ضرب زيدا، فمعناه أنه يضرب زيدا.)[2]

فجملة (عجبت من ضرب زيدا) بنيتها العميقة : (عجبت من أنه يضرب زيدا)، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الحذفdeletion، حيث حذفت (أنّ) وصلتها.

---

(١) الكتاب ١ /١٦٥ ــ ١٦٧ .

(٢) الكتاب ١ / ١٨٩ .

الإحلال أو التعويض replacement حيث حل المصدر (ضرْب) محل الفعل (يضرب)

عجبت من أنه يضرب زيدا - عجبت من يضرب زيدا - عجبت من ضرب زيدا .

والمصدر في الجملة السابقة مقدر ب(أنّ واسمها وخبرها)، و (هذه الحالة هي التي يكون فيها المصدر الذي يعمل عمل فعله من المركبات الإفرادية) [1]، والمصدر في هذه الحالة لا يمثل جملة مفيدة، بل هو تركيب مفرد يشغل وظيفة نحوية في الجملة، فهو في الجملة السابقة اسم مجرور بمن، بحيث إذا أفردناه واستقل عن جملته فإنه لا يمثل جملة مفيدة ذات معنى مستقل، وقد يكون المصدر جملة وليس تركيبا إفراديا، وذلك إذاكان المصدر نائبا مناب فعله في الدلالة على معناه من غير أن يكون مقدرا بالفعل مع أن أو ما أو أنّ وصلتها، ومن أمثلة ذلك قول سيبويه : ومما أجري مجرى الفعل من المصادر قول الشاعر :

على حين ألهى الناس جلُّ أمورهم فندلا زريقُ المالَ ندلَ الثعالب

كأنه قال : اندل.) [2]

فالبنية العميقة لجملة (ندلا زريق المال) هي : (اندل زريق المال)، وقد تحولت من البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الحذف الإجباري obligatory deletion حيث تم حذف ركن الإسناد المؤلف من المركب الفعلي والمركب الاسمي (اندل) حذفا إجباريا.

الإحلال أو التعويض replacement حيث تم إحلال المركب الاسمي (ندلا) الذي جاء في موقع المفعول المطلق محل المركب الفعلي (اندل).

التبادل permutation حيث تقدم المصدر، وجاء في موضع الصدارة بعد حذف ركن الإسناد (اندل).

ندلا زريقُ المالَ ⟵ اندل زريقُ المالَ

وقد عبر ابن مالك عن وقوع المصدر بدلا من فعله بقوله:

---

(١) من الأنماط التحويلية في النحو العربي د . محمد حماسة عبد اللطيف ص ٥٣ . وانظر كذلك في بناء الجملة العربية للمؤلف نفسه من ص ٢٦٥ إلى ص ٢٧٩ .

(٢) الكتاب ١ / ١١٥ ــ ١١٦ .

والحذف حتم مع آتٍ بدلا من فعله،كندلا اللّذْ كاندلا

ويقول سيبويه: (هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدعاء، فمن ذلك قولك : حمدا وشكرا، ولا كفرا، وعجبا، وأفعل ذلك وكرامة ومسرة ونعمة عين، وحبا ونعامَ عين، ولا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما، ولأفعلن ذلك ورغما وهوانا.

فإنما ينتصب هذا على إضمار الفعل، كأنك قلت : أحمد الله حمدا، وأشكر الله شكرا، وكأنك قلت : أعجب عجبا، وأكرمك كرامة، وأسرك مسرة، ولا أكاد كيدا ولا أهم هما، وأرغمك رغما،وإنما اختزل الفعلههنا ؛لأنهم جعلوا هذا بدلا من اللفظ بالفعل)[1] .

إن عبارة سيبويه السابقة تلخص القانون التحويلي (الإحلال أو الاستبدال replacement) الذي حول التراكيب السابقة من البنية العميقة إلى البنية السطحية ؛ فالأصل ــ مثلا ــ في قولك : حمدا وشكرا هو : أحمد الله حمدا وأشكر الله شكرا، وقد تم تحويل بالإحلال أو الاستبدال حيث حل المصدر (حمدا) محل الفعل (أحمد)، والمصدر (شكرا) محل (أشكر)، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله : **بدلا من اللفظ بالفعل.**

على أن هذه المصادر قد تأتي مرفوعة فيكون هذا من اختلاف أو تعدد البنية السطحية التي قد ترد على أكثر من صورة إعرابية، وحينئذ تختلف بنيتها العميقة عنها حال ورودها منصوبة ؛ ففي الأمثلة السابقة كانت محولة من جملة فعلية حذف منه الفعل وناب عنه المصدر، أما في حال ورودها مرفوعة فإنها تكون محولة من جملة اسمية ، ويشرح سيبويه ذلك بقوله : (وقد جاء بعض هذا رفعا يبتدأ ثم يبنى عليه. وزعم يونس أن رؤبة بن العجاج كان ينشد هذا البيت رفعا، وهو لبعض مَذْحِج، وهو هنيّ بن أحمر الكناني :

عجب لتلك قضيةً وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب

---

(١) الكتاب ١ / ٣١٨ ــ ٣١٩ ، وانظر كذلك ١/ ٢٧٥ ــ ٢٧٦ ، ٣١١ ــ ٣١٣ ، ٣١٤ ــ ٣١٥ ، ٣١٦ــ ٣١٧ ، ٣٢٢ــ ٣٢٨ ، ٣٥٦ــ ٣٥٨ .

وسمعنا بعض العرب الموثوق به، يقال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : حمد الله وثنائي عليه، كأنه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر، كأنه يقول : أمري وشأني حمد الله وثناء عليه.)[1] .

فالبنية العميقة لجملة : (عجب) هي : (أمري عجب) وقد تحولت من العمق إلى السطح بقانون الحذف deletion حيث حذف المبتدأ (أمري)، وكذلك البنية العميقة لقول بعض العرب : (حمد الله) هي : (أمري حمد الله)، وتحولت من العمق إلى السطح بحذف المبتدأ أيضا، وواضح أن المصدر المرفوع في المثالين تحول من جملة اسمية حذف منها المبتدأ.

في التمييز :

التمييز كل اسم نكرة، متضمن معنى " من " لبيان ما قبله من إجمال ؛ ولذلك يسمى تفسيرا وتبيينا، والغرض اللغوي للتمييز هو رفع الإبهام وإزالة اللبس .[2]

وتظهر في تناول سيبويه للتمييز بنوعيه المفرد والجملة أو الذات والنسبة فكرة البنية العميقة والقوانين التحويلية التي تحول التمييز من العمق المفترض إلى السطح المنطوق، يقول سيبويه : (ومثل ذلك في ترك الألف واللام وبناء الجميع، قولهم : عشرون درهما، إنما أرادوا عشرين من الدراهم، فاختصروا واستخفوا . ولم يكن دخول الألف واللام يغيّر العشرين عن نكرته، فاستخفوا بترك ما لم يحتج إليه) [3].

فسيبويه يرى في النص السابق أن تركيب التمييز المفرد (عشرين درهما) محول من (عشرين من الدراهم)، ثم هو يشرح في موضع آخر من كتابه كيف تحول هذا التركيب من البنية العميقة إلى البنية السطحية، ذاكرا الغرض الدلالي لهذا التحويل وهو الاختصار أو الاستخفاف . يقول في باب (كم) (وذلك أنك لو قلت : كم لك الدرهم، لم يجزكما لم يجز في قولك : عشرون الدرهم، لأنهم إنما أرادوا

---

(١) الكتاب ١ / ٣١٩ ــ ٣٢٠ ، وانظر كذلك ١ / ٣١٣، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .

(٢) انظر شرح ابن عقيل ١ / ٦٠١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢ / ٧٠ .

(٣) الكتاب ١ / ٢٠٣ .

عشرين من الدراهم. وهذا معنى الكلام، ولكنهم حذفوا الألف واللام، وصيروه إلى الواحد ؛ وحذفوا من استخفافا) [1] .

فتركيب التمييز المفرد (عشرون درهما) أصله : (عشرون من الدراهم)، وقد تحول من البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الحذف deletion حيث تم حذف الألف واللام من كلمة (الدراهم)، وقد ذكر سيبويه هذا القانون التحويلي بقوله : (ولكنهم حذفوا الألف واللام)، كما ذكر سيبويه الغرض الدلالي من تحويل الحذف هذا بقوله : (فاختصروا واستخفوا. ولم يكن دخول الألف واللام يغير العشرين عن نكرته، فاستخفوا بترك ما لم يحتج إليه.)

الإحلال أو الاستبدال replacement حيث تم إحلال مفرد كلمة (دراهم) محل الجمع فصار التركيب : عشرين من دراهم، وقد ذكر سيبويه هذا التحويل بقوله : (وصيروه إلى الواحد).

الحذف deletion حيث تم حذف حرف الجر (من) فصار التركيب : عشرين درهم، وقد ذكر سيبويه هذا التحويل والغرض الدلالي منه بقوله : (وحذفوا من استخفافا).

الإحلال أو الإبدال replacement حيث تم إحلال التنوين بالفتح محل الجر في كلمة (درهم) فصار التركيب : عشرين درهما.

عشرين من الدراهم ⟵ عشرين من دراهم ⟵ عشرين من درهم

عشرين درهم ⟵ عشرين درهما

نلاحظ أن سيبويه ذكر في النص السابق القوانين التحويلية التي تحول بها تركيب التمييز المفرد من البنية العميقة إلى البنية السطحية فيما يشبه أويكاد إلى حد كبير صنيع التحويليين transformationalists.

وأما تمييز النسبة أو الجملة فقد أورد له سيبويه قوله : (وقد جاء من الفعل ما قد أُنفذ إلى مفعول ولم يقوَ قوة غيره مما قد تعدى إلى مفعول، وذلك قولك : امتلأت

---

(١) الكتاب ٢ / ١٥٧ ، ١٥٨ .

ماء وتفقأت شحما... وإنما أصله امتلأت من الماء، وتفقأت من الشحم، فحذف هذا استخفافا) [1] .

فسيبويه يرى أن جملة (امتلأت ماء) محولة من جملة (امتلأت من الماء)، وقد تحولت من العمق إلى السطح بالقوانين التحويلية الآتية :

الحذف deletion حيث تم حذف الألف واللام من كلمة (الماء) .

الحذف deletion حيث تم حذف حرف الجر (من) .

الإحلال أو الإبدال replacement حيث أبدلت حركة الإعراب في كلمة (ما) تنوينا بالفتح بدلا من الجر بالكسرة.

امتلأت من الماءِ ⟵ امتلأت من ماءٍ امتلأت ماءٍ ⟵ امتلأت ماءً .

وكذلك جملة (تفقأت شحما) فإن عمقها هو : تفقأت من الشحم، والغرض الدلالي من التحويل في الجملتين هوالتخفيف، وقد عبر سيبويه عن ذلك بقوله : (فحذف هذا استخفافا).

في التركيب الإضافي :

أشار سيبويه في أكثر من موضع في كتابه إلى أن المضاف والمضاف إليه كالاسم الواحد ، يقول ــ مثلا ــ : (ومثل ذلك : هذه جارية أخوي ابنين لفلان كراما؛ لأن " أخوي ابنين " اسم واحد)[2]. ولذلك يشدّد سيبويه على عدم جواز الفصل بينهما إلا في ضرورة في غير موضع أيضا، يقول:(ولا يجوز:يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار، إلا في شعر،كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور)[3] وقد اعتمد سيبويه على فكرة البنية العميقة في معالجته النحوية للإضافة في ثنايا كتابه؛ فهو لم يفردها بباب خاص، وإنما هي موزعة مبثوثة في ثنايا الأبواب النحوية المختلفة في الكتاب سواء أكانت إضافة معنوية محضة أم لفظية غير محضة، وإن كان لم يذكر هذين المصطلحين صراحة أعني المعنوية واللفظية، وربما كان السبب في ذلك عدم

---

(١) الكتاب ١ / ٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

(٢) الكتاب ٢ / ٥٩ .

(٣) الكتاب ١ / ١٧٦ .مع ملا حظة أن سيبويه يستعمل مصطلح الجار والمجرور بدلا من المضاف والمضاف إليه .

استقرار "المصطلح " في ذلك الوقت المبكر مع البدايات الأولى لنشأة النحو ممثلة في الكتاب لسيبويه أول صورة للنحو العربي وصل بها إلينا.ومن أمثلة اعتمادهعلى فكرة البنية العميقة في تحليل البنى السطحية في التراكيب الإضافية المعنوية قوله : (ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده : " **واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا** " إنما يريد : أهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لوكان هاهنا. ومثله " **بل مكر الليل والنهار** "، وإنما المعنى : بل مكركم في الليل والنهار. وقال عز وجل : " **ولكن البر من آمن بالله** " وإنما هو : ولكن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر) [1] .

فالبنية العميقة لقوله تعالى : "واسأل القرية "هي : واسأل أهل القرية، وقد جرى التحويل فيها من العمق إلى السطح بحذف المضاف (أهل) أولا، ثم بإبدال علامة الجر في المضاف إليه (القرية) علامة نصب للمفعولية ثانيا.

واسأل أهل القريةِ ⟵ واسأل القريةِ ⟵ واسأل القريةَ .

وإذن تحول التركيب الإضافي المعنوي السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية بقاعدتين تحوليتين هما :الحذف deletionوالإحلال أو الاستبدالreplacement.

أما البنية العميقة لقوله تعالى : " بل مكر الليل والنهار " فهي : بل مكرٌ في الليل والنهار، وقد تحولت من العمق إلى السطح بتحويل حذف حرف الجر(في)، ثم بتحويل حذف التنوين من المضاف (مكر)، ويذكر سيبويه علة تقدير الحرف المحذوف بكونه " في " بقوله : (فالليل والنهار لا يمكران ،ولكن المكر فيهما)، كما يذكر الغرض الدلالي من التحويل السابق وهو الاتساع والاستخفاف والاختصار.

وأما قوله تعالى : " ولكن البر من آمن بالله " فالبنية التحتية له هي : ولكن البر بر من آمن بالله، وقد تحول من العمق إلى السطح بتحويل حذف المضاف (بر) المقدر خبرا للحرف الناسخ (لكن).

---

(١) الكتاب ١ / ٢١٢ .

أما الإضافة اللفظية وهي ما كان المضاف فيها وصفا مشابها للفعل المضارع، وهو كل اسم فاعل أو مفعول بمعنى الحال أو الاستقبال، أو صفة مشبهة ولا تكون إلا بمعنى الحال، وهذه الإضافة غير محضة، ولا تفيد المضاف تعريفا ولا تخصيصا، بعكس الإضافة المعنوية التي تفيد المضاف تعريفا أو تخصيصا ؛ ولذلك فهي خالصة من نية الانفصال، بخلاف اللفظية، فإنها على نية الانفصال، كما أنها تكون نكرة حتى لو أضيفت إلى المعرفة ؛ ولذلك يقول سيبويه : (واعلم أن كل مضاف إلى معرفة وكان للنكرة صفة فإنه إذا كان موصوفا أو وصفا أو خبرا أو مبتدأ، بمنزلة النكرة المفردة. ويدلك على ذلك قول الشاعر، وهو جرير:

ظللنا بمُستَنّ الحرور كأننا لدى فرس مستقبلِ الريحِ صائمِ

كأنه قال : لدى مستقبلٍ صائمٍ.

وقول المرار الأسديّ :

سلّ الهموم بكل معطي رأسِه ناجٍ مخالـــط صهبة متعيِّس

مغتـــال أحبله مبيـــن عنقـــه في منكب زَيَنَ المطيِّ عرندس

سمعناه ممن يرويه من العرب ينشده هكذا. ومنه أيضا قول ذي الرُّمّة :

سرت تخبط الظلماء من جانبيْ قساً وحُبٌّ بها من خابطِ الليلِ زائرِ

فكأنهم قالوا : بكل معطٍ رأسَه، ومن خابطٍ الليلَ.)[1]

فالبنية العميقة للتركيب الإضافي اللفظي (مستقبلِ الريحِ) في قول جرير هي : (مستقبلٍ الريحَ)، وقد تم تحويله من العمق إلى السطح من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الإحلال أو الاستبدال replacement حيث تم إحلال اسم الفاعل (مستقبل) محل فعله (يستقبل) .

الحذف deletion حيث تم حذف التنوين من اسم الفاعل (مستقبل) استخفافا.

الإحلال أو الاستبدال replacement حيث تم إحلال الكسرة علامة جر للإضافة محل علامة النصب في المضاف إليه (الريح) .

---

(١) الكتاب ١ / ٤٢٥ .

يستقبل الريح ← مستقبلِ الريحَ مستقبلِ الريحَ ← مستقبلِ الريحِ

وكذا في التراكيب الإضافية اللفظية التي ساقها سيبويه في الشواهد الشعرية الأخرى فـ(معطي رأسِه) أصله : معطٍ رأسَه، وتم التحويل من القصد إلى الظاهر كالآتي :

يعطي رأسَه ← معطٍ رأسَه معطي رأسَه ← معطي رأسِه

و(خابطِ الليلِ) أصله : (وخابطٍ الليلَ)، وقد تم تحويله من العمق إلى السطح المنطوق هكذا :

يخبط الليلَ ← خابطٍ الليلَ ← خابطِ الليلَ ← خابطِ الليلِ .

والغرض الدلالي في التحويلات التي تمت في التراكيب الإضافية السابقة هو التخفيف كما ذكر سيبويه.

اسم الموصول وصلته :

يشكل اسم الموصول مع صلته مركبا اسميا ، يشغل الوظائف النحوية المختلفة في الجملة ، وقد أشار إلى ذلك سيبويه في غير موضع من الكتاب ، كما عني بإظهار البنية العميقة لهذا المركب الاسمي ، ومن ذلك قوله : (كما أن "الذي " وصلته بمنزلة اسم واحد . فإذا قلت : هوالذي فعل ، فكأنك قلت : هو الفاعل)[1] .

فجملة (هو الذي فعل) تتماثل تركيبيا ــ من وجهة نظر سيبويه ــ مع جملة (هو الفاعل) ، كما أظهر سيبويه البنية العميقة للجملة السابقة ، والتي تحولت إلى البنية السطحية بتحويل الإحلال أو الاستبدال حيث حل الفعل (فعل) محل اسم الفاعل (فاعل) ، كما تم استبدال (الذي) ب(ال) .

هو الفاعل ← هو ال فعل ← هو الذي فعل

في تركيب البدل :

تناول سيبويه البدل في مواضع متفرقة من الكتاب، والملاحظ أن تعليقه على الأمثلة التي أوردها يشير إلى فكرة البنية العميقة وإلى القوانين التحويلية التي جعلت العبارات المنطوقة مشتملة على البدل، انظر إليه وهو يقول : (هذا باب من الفعل

---

(١) الكتاب ٣ / ٦ .

يُستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأول وذلك قولك : رأيت قومك أكثرهم، ورأيت بني زيد ثلثيهم، ورأيت بني عمك ناسا منهم، ورأيت عبد الله شخصَه، وصرفت وجوهها أولها. فهذا يجئ على وجهين :

على أنه أراد : رأيت أكثر قومك، ورأيت ثلثي قومك، وصرفت وجوه أولها، ولكنه ثنى الاسم توكيدا..)[1]

ذكر سيبويه جملة من الأمثلة التي تشتمل على تركيب بدل البعض من كل، ثم ذكر أصولها المتخيلة أو بنيتها العميقة، فجملة (رأيت قومك أكثرهم) أصلها : (رأيت قومك ــ رأيت أكثر قومك)، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الحذف deletion فقد حذف العامل المكرر، حيث حذفت (رأيت) الثانية، ومعنى هذا أن الجملة السابقة المشتملة على مركب البدل عمقها جملتان، وقد تحولتا إلى جملة واحدة من خلال حذف المكرر (رأيت) دفعا للبس والتوهم، وهذا هومعنى قول النحاة : إن البدل على نية تكرار العامل ؛ولذلك يقول ابن يعيش في شرحه على المفصل : (ألا ترى أنك لو قلت : مررت بعبد الله مررت بزيد، أو قلت مررت بعبد الله وزيد ربما توهم المخاطب أن الثاني غير الأول فجاءوا بالبدل فرارا من اللبس وطلبا للإيجاز.)[2] .

الإحلال أوالتعويضReplacement، حيث حل ضمير (قومك) الذي هو (هم) محل كلمة (قومك) الثانية ؛ وبذلك صارت الصيغة النهائية للجملة هي : رأيت قومك أكثرهم، وقد عبر سيبويه عن هذا القانون التحويلي بقوله (ولكنه ثنى الاسم الثاني توكيدا) ، ومعنى هذا أن المعنى في تركيب البدل متعلق بالاسم الثاني حتى لوتركته ولم تذكره لألبس، فلو قلت : رأيت قومك، ربما ظن المخاطب أن الرؤية شملت القوم جميعهم، ولم تختص بعضا منهم، أما إذا قلت : رأيت قومك أكثرهم،

---

(١) الكتاب ١ / ١٥٠ .

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٣ / ٦٤ وفي بناء الجملة العربية ص ٢٥١ ، ومن الأنماط التحويلية ص ٧٢ ــ ٧٣ .

فالرؤية وقعت على أكثر القوم دون سائرهم ؛ ولذلك كان المعتمد بالحديث هو الاسم الثاني،والأل بيان، وباجتماع البدل والمبدل منه يحصل التوكيد كما يقررابن يعيش.

رأيت قومك ــ رأيت أكثر قومك ←——— رأيت قومك أكثر قومك رأيت قومك أكثرهم .

ومن أمثلة بدل الاشتمال التي ساقها سيبويه، واعتمد في تناوله لها على فكرة البنية العميقة والتحويل قوله : (وإن شئت قلت : ضُرب عبد الله ظهره، ومطر قومك سهلهم، على قولك : رأيت القوم أكثرهم، ورأيت عمرا شخصه، كما قال :

فكأنه لهق السراة كأنه ما حاجبيه مُعَيِّنٌ بسواد

يريد : كأن حاجبيه، فأبدل حاجبيه من الهاء التي في كأنه، وما زائدة.

وقال الجعدي :

ملك الخورنق والسدير وداته مابين حمير أهلها وأوالِ

يريد ما بين أهل حمير، فأبدل الأهل من حمير)[1] .

هنا كما في النص السابق يذكر سيبويه أمثلة لمركب بدل الاشتمال، ثم يذكر في مقابل ذلك الأصل المتخيل الذي يساعد في التفسير والتحليل ،فالجملتان : (ضرب عبد الله ظهره ومطرقومك سهلهم) هما على غرار جملة (رأيت القوم أكثرهم)التي ساقها في النص السابق، وذكر بنيتها العميقة وهي : رأيت أكثر القوم، وعلى هذا فبإمكاننا أن نذكر عمق الجملتين اللتين ذكرهما قياسا على هذه الجملة وهو : (ضرب عبد الله ــ ضرب ظهر عبد الله، ومطر قومك ــ مطر سهل قومك)، وقد حدث فيهما تحويل بحذف العامل المكرر (ضُرب ومُطر) أولا ثم تحويل بالإحلال أو الاستبدال ثانيا، حيث حل الضمير محل الاسم الظاهر، أما تركيب البدل (**كأنه ماحاجبيه**) في البيت الأول الذي يصف الشاعر فيه ثورا وحشيا شبه به بعيره في حدته ونشاطه فبنيته العميقة هي : **كأنه (البعير) ــ كأن حاجبي البعير**،وقد تم التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الحذف deletion حيث تم حذف المكرر (كأن) الثانية.

---

(١) الكتاب ١ / ١٦١ ــ ١٦٢ .

الاستبدال ـ إحلال replacement حيث تم إحلال الضمير محل الاسم الظاهر المذكور (البعير)، وقد عبر سيبويه عن هذا القانون التحويلي بقوله : (فأبدل حاجبيه من الهاء التي في كأنه).

الزيادة addition حيث تم زيادة (ما)، وقد عبر سيبويه عن ذلك بقوله : (وما زائدة).

كأنه (البعير) ـ كأن حاجبي البعير ⟵ كأنه (البعير) حاجبيه كأنه (البعير) ما حاجبيه .

والبنية العميقة لقول الجعدي (دانه ما بين حمير أهلها) هي : (دانه ما بين حمير ـ دانه ما بين أهل حمير).

وقد تم التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الحذف deletion حيث تم حذف الفعل المكرر (دانه ما بين) .

الإحلال أو الاستبدال replacement حيث حل الضمير محل الظاهر المذكور (أهل).

دانه ما بين حمير ـ دانه ما بين أهل حمير ⟵ دانه ما بين حمير أهل حمير ⟵ دانه ما بين حمير أهلها.

المصدر المؤول :

اعتمد سيبويه في معالجته النحوية للمصدر المؤول الذي يتكون من أن والفعل أو ما والفعل أوأنّ ومعموليها، وتشكل مركبات اسمية تشغل وظائف نحوية مختلفة في الجملةعلى فكرة البنية العميقة، ومن الأمثلة على ذلك قوله : (هذا باب ما تكون فيه أنّ وأنْ مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الأسماء وذلك قولهم : ما أتاني إلا أنهم قالوا كذا وكذا، فأن في موضع اسم مرفوع كأنه قال : ما أتاني إلا قولهم كذا وكذا.)[1].

فسيبويه يقرر في النص السابق أنّ "أنّ " مع اسمها وخبرها بمنزلة اسم واحد وقع في وظيفة الفاعل في المثال الذي ساقه ؛أي أنهما تكونان مركبا اسميا ؛ ولذلك

---

(١) الكتاب ٢ / ٣٢٩ .وانظر كذلك ٣ / ١١ ، ١٤٣ .

فإن البنية العميقة لجملة : (ما أتاني إلا أنهم قالوا) هي : (ما أتاني إلا قولهم)، وقد تحولت من العمق إلى السطح من خلال القوانين التحويلية الآتية :

الزيادة addition حيث زيدت أنْ وصلتها .

الإحلال أو الاستبدال replacement حيثحلّ الفعل (قال) محل المصدر (قول).

الإحلال أو الاستبدال replacement حيث حل ضمير الرفع (واو الجماعة) محل ضمير الجر (هم) .

ما أتاني إلا قولهم ⟵ ما أتاني إلا أنهم قولهم ⟵ ما أتاني إلا أنهم قالوا .

فعوملت أنّ مع معموليها معاملة الاسم المفرد الذي شغل وظيفة الفاعلية في الجملة.

ولا يختلف السلوك التركيبي لأنْ مع صلتها عن السلوك التركيبي لأنَّ مع معموليها ، فهما بمنزلة اسم واحد ؛ ولذلك يقول سيبويه : (و(أنْ) بمنزلة الذي، تكون مع الصلة بمنزلة الذي مع صلتها اسما، فيصير : يريد أن يفعل، بمنزلة يريد الفعل، كما أن الذي ضرب بمنزلة الضارب) [1] .

فالحرف المصدري (أن) يشكلمع فعله اسما كما يقرر سيبويه ؛ ولذلك فإن جملة (يريد أن يفعل) أصلها : (يريد الفعل)، وقد تم تحويلها من البنية العميقة إلى البنية السطحية بقانون تحويل زيادة (أن) أولا، ثم بقانون إحلال الفعل (يفعل) محل المصدر (الفعل) ثانيا.

يريد الفعل ⟵ يريد أن الفعل ⟵ يريد أن يفعل

ومن ذلك أيضا قوله : (كما تقول : يسوءني أن أضربك أي يسوءني ضربك)[2] .

---

(١) الكتاب ٤ / ٢٢٨ .

(٢) الكتاب ١ / ٢١٣ .

فسيبويه يرى أن جملة (يسوءني أن أضربك) متماثلة من الناحية التركيبية والنحوية مع جملة (يسوءني ضربك)، كما أنه أظهر البنية العميقة التي تولدت عنها البنية السطحية كما يلي :

يسوءني ضربك ⟵ يسوءني أن ضربك ⟵ يسوءني أن أضربك

وكما أن الذي مع صلتها وأنْمع صلتها تشكل مركبات اسمية، فإن ما وصلتها تشكل مركبا اسميا أيضا ؛ ولذلك يقول سيبويه : (وسألت الخليل عن قوله : ما تدوم لي أدوم لك، فقال : ليس في هذا جزاء، من قبل أن الفعل صلة لما، فصار بمنزلة الذي، وهو بصلته كالمصدر، ويقع على الحين كأنه قال : أدوم لك دوامك لي.فما، ودمت بمنزلة المصدر... ومثل ذلك : كلما تأتيني آتيك، فالإتيان صلة لما، كأنه قال : كل إتيانك آتيك)[1] .

فجملة (ما تدوم لي أدوم لك) أصلها : (أدوم لك دوامك لي)، وقد تم تحويلها من البنية العميقة إلى البنية السطحية بزيادة (ما)، ثم باستبدال الفعل بالمصدر. والبنية العميقة لجملة (كلما تأتيني آتيك) هي : (كل إتيانك آتيك)، وتحولت من العمق إلى السطح بزيادة الحرف المصدري (ما)، ثم بإحلال الفعل (تأتي) محل المصدر (إتيان)، ثم بإحلال ضمير النصب (ياء المتكلم) محل ضمير الجر (كاف الخطاب).

كل إتيانك ⟵ كلما إتيانك آتيك ⟵ كلما تأتي ك آتيك

كلما تأتني آتيك .

وفي المثال الأول شغل المصدر المؤول وظيفة المفعول المطلق، وفي المثال الثاني وظيفة المضاف إليه، فقد تحولت الجملة الفعلية المكونة من (ما والفعل) إلى مركب اسمي وقع موقع المفرد في الوظائف النحوية المختلفة، ومن أمثلة ذلك أيضا قول سيبويه : (ومثل ذلك أيضا من الكلام فيما حدثنا أبو الخطاب : ما زاد إلا ما

---

(١) الكتاب ٣ / ١٠٢ .

نقص وما نفع إلا ما ضر. فما مع الفعل بمنزلة اسم نحو النقصان والضرر. كما أنك إذا قلت : ما أحسن ما كلم زيدا، فهو ما أحسن كلام زيدا)[1] .

فالبنية العميقة لجملة :(ما زاد إلا ما نقص وما نفع إلا ما ضر)هي :

(ما زاد إلا النقصان وما نفع إلا الضرر)، وقد شغل فيها الاسم المنسبك من (ما والفعل) موقع الفاعل، أما البنية العميقة لجملة (ما أحسن ما كلم زيدا) فهي : ما أحسن كلام زيدا)، وقد شغل فيها المصدر المؤول من (ما والفعل) موقع المفعول به وهكذا.

أسلوب النداء :

من الأبواب النحوية التي تجلت فيها فكرة البنية العميقة باب النداء من حيث خصائصه التركيبية حيث يحذف الفعل الدال عليه، ويكتفى بحرف النداء، يقول سيبويه : (ومما ينتصب في غير الأمر والنهي على الفعل المتروك إظهاره قولك: يا عبد الله، والنداء كله... حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم هذا في الكلام، وصار يا بدلا من اللفظ بالفعل، كأنه قال : أريد عبد الله، فحذف أريد وصارت يا بدلا منها ؛لأنك إذا قلت : يا فلان، علم أنك تريده)[2] .

فأسلوب النداء (يا عبد الله) أصله : (يا أريد عبد الله)، وقد تم تحويله من العمق إلى السطح بالقوانين التحويلية الآتية :

الحذف الإجباري deletionobligatory حيث حذف الفعل (أريد) حذفا إجباريا، وقد عبر سيبويه عن هذا القانون التحويلي بقوله : (حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه) .

الاستبدال replacement، حيث تم استبدال(يا) بالفعل (أريد)، وقد ذكر سيبويه هذا القانون بقوله : (وصارت (يا) بدلا منها أي بدلا من الفعل.)

أريد عبد الله عبد الله يا عبد الله .

---

(١) الكتاب ٢ / ٣٢٦ ، وانظر كذلك ٣ / ١٥٣ .

(٢) الكتاب ١ / ٢٩١ .

فالبنية العميقة لأسلوب النداء جملة فعلية حذف منها الفعل حذفا لازما، وحلت(يا) محله ؛ ومن أجل هذا يكون المنادى منصوبا كما في المثال السابق، أو في محل نصب كما في قولك : يا زيدُ بناء على التفسير الذي قدمه سيبويه.

أسلوب الاختصاص :

ومن الأساليب الموازية لأسلوب النداء، وظهرت في معالجتها النحوية فكرة البنية العميقة أسلوب الاختصاص (وذلك قولك : إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال : أعني، ولكنه فعل لا يظهر ولا يستعمل كما لم يكن ذلك في النداء ؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب..) [1] .

فالبنية العميقة لجملة (إنا معشر العرب) هي : (إنا أعني معشر العرب)، وتحولت من العمق إلى السطح بتحويل حذف الفعل (أعني) حذفا لازما obligatory deletion اكتفاء بعلم المخاطب أحد العناصر السياقية في الكلام.

الاشتغال :

من الأبواب النحوية التي اعتمد سيبويه في معالجتها النحوية على فكرة الأصل والبنية العميقة باب الاشتغال حيث يقول : (وإن شئت قلت : زيدا ضربته، وإنما نصبه على إضمار فعل هذا يفسره، كأنك قلت : ضربت زيدا ضربته، إلا أنهم لا يظهرون هذا الفعل للاستغناء بتفسيره. فالاسم هاهنا مبني على هذا المضمر.) [2]

فعمق جملة الاشتغال جملتان في الأصل، وقد تحولتا إلى جملة واحدة من خلال حذف الفعل، فالبنية العميقة لجملة (زيدا ضربته) هي : (ضربت زيدا ضربته)، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح بتحويل حذف الفعل (ضربت) حذفا إجباريا، وقد عبر سيبويه عن هذا القانون التحويلي بقوله : (إلا أنهم لا يظهرون هذا الفعل للاستغناء بتفسيره).

---

(١) الكتاب ٢ / ٢٣٣ .

(٢) الكتاب ١/ ٨١ ، وانظر كذلك ١ / ٨٣ .

تعدد البنية العميقة لدى سيبويه :

قد تتعدد البنية العميقة أو الأصل الذي انبثقت عنه البنيات السطحية المنطوقة، أي أن البنية السطحية للجملة قد تكون منبثقة أو محولة من أكثر من أصل مقدر، ونحن نلحظ ذلك كثيرا لدى سيبويه في مواطن مختلفة من الكتاب، ثم هو يفسر لنا التوافق العقلي بين الظاهر المنطوق والقصد المقدر في كل مرة . من ذلك – مثلا – قوله في باب الأمر والنهي : (ويجوز هذا أيضا علي قولك : شاهداك، أي ما ثبت لك شاهداك. قال الله تعالى جده :" **طاعة وقول ومعروف**".فهو مثله. فإما أن يكون أضمر الاسم وجعل هذا خبره كأنه قال : أمري طاعة وقول معروف، أو يكون أضمر الخبر فقال : طاعة وقول معروف أمثل.) [1] .

فسيبويه يرى أن البنية العميقة لقوله تعالى " طاعة وقول معروف " هي : أمري طاعة وقول معروف، ثم هو يذكر لنا القاعدة التحويلية التي حولت الجملة السابقة من البنية العميقة إلى البنية السطحية وهي إضمار المبتدأ (أمري) وذلك حينما قال : (فإنما أن يكون أضمر الاسم وجعل هذا خبره)، وهو يرى أيضا أن البنية العميقة للجملةالسابقة قد تكون : طاعة وقول معروف أمثل، والقاعدة التحويلية التي ربطت بين البنيتين هي إضمار الخبر (أمثل) كما يذكر سيبويه.(وهذا الاختلاف في تحديد الجملة المحول عنها لا ترفضه النظرية الحديثة، بل تراه سائغا مقبولا شريطة أن يبين المفسر كيف تحولت إلى البنية السطحية)[2]، وقد بين لنا سيبويه كيف تحولت الجملة السابقة من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وذكر لنا القاعدة التحويلية التي بها تحولت.

وكثيرا ما يورد سيبويه بنيات سطحية للجمل والتراكيب المنطوقة بناء على سنن العرب ومسالكهم في الاستعمال ؛ ولذلك نراه يقول : (ولكن العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون)[3] .

---

(١) الكتاب ١ / ١٤١ .

(٢) من الأنماط التحويلية في النحو العربي ص ٢٩ .

(٣) الكتاب ١ / ٣٣١ .

وحينئذ تقوم البنية العميقة بمهمة تفسير تلك البنى السطحية المختلفة، ومن أمثلة ذلك قول سيبويه : (ومما لا ينتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، أن ترى الرجل قد قدم من سفر فتقول : خير مقدم.أو يقول الرجل رأيت فيما يرى النائم كذا وكذا، فتقول خيرا وما سرّ، وخيرا لنا وشرا لعدونا. وإن شئت قلت : خيرُ مقدم،وخيرٌ لنا وشرٌ لعدونا. أما النصب فكأنه بناه على قوله : قدمت، فقال: قدمت خير مقدم، وإن لم يسمع منه هذا اللفظ، فإن قدومه ورؤيته إياه بمنزلة قوله: قدمت. وكذلك إن قيل : قدم فلان، وكذلك إذا قال : رأيت فيما يرى النائم كذا وكذا، فتقول : خيرا لنا وشرا لعدونا.فإذا نصب فعلى الفعل.وأما الرفع فعلى أنه مبتدأ أومبني على مبتدأ ولم يرد أن يحمله على الفعل، ولكنه قال : هذا خير مقدم، وهذا خير لنا وشر لعدونا، وهذا خير وما سرّ) [1].

فالبنية العميقة لجملة (خيرَ مقدم) هي : قدمت خير مقدم، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح بقانون تحويل الحذف deletion، حيث حذف الفعل (قدمت)، وقد أغنى عن التلفظ بهذا الفعل المقدر سياق الموقف الذي جرت فيه العبارة السابقة (فإن قدومه ورؤيته إياه بمنزلة قوله : قدمت)، وعلى هذا فجملة (خير مقدم) حُوِّلت من جملة فعلية حذف منها الفعل، وقد تأتي هذه الجملة برفع كلمة (خير) ، وفي هذه الحالة تكون بنيتها العميقة كما يذكر سيبويه هي : (هذا خير مقدم)، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح بتحويل حذف المبتدأ (هذا) وعلى هذا فهي محولة من جملة اسمية حذف منها المبتدأ . وهكذا تنهض البنية العميقة بمهمة تفسير الاختلاف في السطح المنطوق.

ومن أمثلة ذلك أيضا قول سيبويه : (وأما قول الشاعر :

لقد كذبتك نفسك فاكذبنها فإن جزعا وإن إجمالَ صبر

فهذا على إما، وليس إن الجزاء... ولو قلت : فإن جزعٌ وإن إجمالُ صبر، كان جائزا، كأنك قلت : فإما أمري جزع وإما إجمالُ صبر.)[2] .

---

(١) الكتاب ١ / ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) الكتاب ١ / ٢٦٦ ــ ٢٧٧ .

فسيبويه يرى أن العمق المقدر لجملة (فإن جزع وإن إجمال صبر) هو : (فإن أجزع جزعا وإن أجمل إجمال صبر)، وقد تحولت من العمق إلى السطح بتحويل حذف الفعلين (أجزع،وأجمل)، وهي بذلك تكون محولة من جملة فعلية. كما يرى سيبويه أن الجملة السابقة يمكن أن ترد مرفوعة، فيمكن أن يقال : (فإن جزعٌ وإن إجمالُ صبر)، وتكون البنية العميقة لها هي : فإما أمري جزع وإما إجمال صبر، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح بتحويل حذف المبتدأ(أمري)، وحذف (ما) من (إمّا)، وعلى هذا فالجملة محولة من جملة اسمية.

ويقول سيبويه في باب أسماه هذا باب أيضا من المصادر ينتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره : (وأما سبوحا قدوسا رب الملائكة والروح، فليس بمنزلة سبحان الله ؛ لأن السبوح والقدوس اسم، ولكنه على قوله : أذكر سبوحا قدوسا... ومن العرب من يرفع فيقول : سبوح قدوس رب الملائكة والروح) [1] .

فسيبويه يفسر نصب المصدر (سبوحا) على أنه محول من جملة فعلية هي : (أذكر سبوحا قدوسا)، وقد تحولت من القصد إلى الظاهر بتحويل حذف الفعل (أذكر) حذفا إجباريا obligatory deletion ؛ ويذكر سيبويه هذا القانون التحويلي بقوله : (وخزلوا الفعل لأن هذا الكلام صار عندهم بدلا من سبحت) .

ومن العرب من يرفع هذا المصدر،فيقول : سبوح قدوس، وحينئذ يفسره سيبويه على أنه محول من جملة اسمية تقديرها : (ذكري سبوح قدوس).

وهكذا يمكن تلمس أمثلة كثيرة في الكتاب لهذا النوع من تعدد البنى السطحية وتعدد البنى العميقة تبعا لذلك.

المبحث الثاني :تحويل المعنى أو تحويل الدلالة لدى سيبويه

لم يولِ تشومسكي المعنى meaning أو الدلالة semantic أهمية في التحليل اللغوي حينما خرج على الناس بنظريته التحويلية في كتابه الأول " التراكيب النحوية " syntactic structure، بل لقد أشار ــ كما يذكر جون ليونز ــ إلى أن الاعتبارات الدلالية ليست ذات صلة مباشرة في وصف ودراسة التركيب النحوي، ولكنه ما لبث

---

(١) الكتاب ١ / ٣٢٧ .

أن اقتنع هو وتلاميذه بأهمية الدلالة كعنصر يتكامل مع التحليل النحوي سعت الإنسانية، وقدم نظرية تحويلية أكثر تماسكا في كتابه "مظاهر النظرية النحوية " Aspects of the theory of Syntax، مضيفا المكون الدلالي إلى عناصر نظريته [1]، والرسم البياني التالي يوضح ذلك :

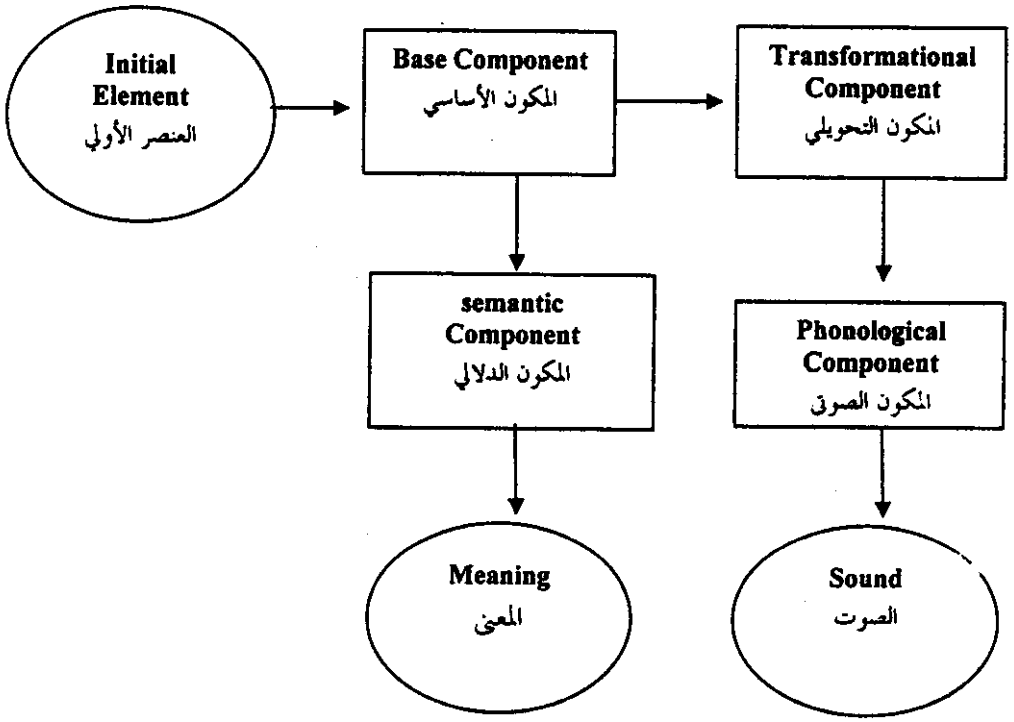

(١) انظر نظرية تشومسكي اللغوية لجون ليونز ص ١٥٨ ــ ١٦١ ، والقواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي د . حسام البهنساوي ص ٧٥ ــ ٨٦ ، ومن الأنماط التحويلية ص ١٩ ، ونحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية للدكتور مازن الوعر . الفصل الثاني من ص ٥١ إلى ص ٨٧، حيث ذكر أن تشومسكي لم يشر في المنهج الذي وضعه عام ١٩٥٧ م ، وهو منهج المباني التركيبية إلى المستوى الدلالي ، وأن هذا المنهج صيغ صياغة نحوية تركيبية محضة خالية من المكون الدلالي . ولكن تشومسكي عاد عام ١٩٧٠ فأوضح المشكلة الدلالية ، وعبر عن الحاجة إلى تطوير المكون الدلالي في نظرية القواعد التوليدية والتحولية .

ومعنى هذا أن تعديلا modification قد حدث في أصول وقواعد نظرية تشومسكي التحويلية، فبعد أن كان المكون الصوتي phonological component فقط يمثل الشكل النهائي للجملة المنطوقة، أصبح المكونان الصوتي phonological والدلالي semantic يمثلان الشكل النهائي للجملة (أما المكون الدلالي فيفسر معنى الجملة، واما المكون الفنولوجي فيعطيها الصورة الصوتية أو النطقية ؛ لذا نجد أن الشكل ينتهي إلى جانبين هما الصوت والمعنى، أو كما يقول علماء العربية المبنى والمعنى.)[1] .

إن هذا التعديل الذي أحدثه تشومسكي في نظريته بأن أضاف إليها العنصر الدلالي جعلها أكثر تماسكا كما عبر عن ذلك جون ليونز من قبل ؛ ولذلك نراه يعبرعن ذلك في موضع آخر من كتابه بقوله : (قد ثبت بوضوح، ومنذ البدايات الأولى لعلم النفس أن هناك علاقة متبادلة بين درجة التعقيد التحويلي، وبين درجة التعقيد النفسي بالمعنى الذي انتهت إليه التجارب المنضبطة في ذلك، بل لقد أصبح من الصعب بل من المستحيل الفصل بين العملية النحوية والعملية الدلالية.) [2].

وإذا ما انتقلنا إلى سيبويه وجدنا اهتماما كبيرا بالمعنى، بحيث نراه يربط بين الإعراب والمعنى في مواضع كثيرة من كتابه معتمدا على البنية العميقة في تفسير البنية السطحية وتحديد معناها، يقول في باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه : (وأما قول حسانبن ثابت :

حار بن كعبٍ ألا أحلام تزجركم عني وأنتمُ من الجوف الجماخير

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسمُ البغال وأحلام العصافير

فلم يرد أن يجعله شتما، ولكنه أراد أن يعدد صفاتهم ويفسرها، فكأنه قال : أما أجسامهم فكذا وأما أحلامهم فكذا.

وقال الخليل رحمه الله : لوجعله شتما فنصبه على الفعل كان جائزا.)[3]

---

(١) من تعليقات المترجم الدكتور حلمي خليل على ترجمته لنظرية تشومسكي اللغوية ص ١٥٩ .

(٢) انظر نظرية تشومسكي اللغوية ص ٢٢٥ .

(٣) الكتاب ٢ / ٧٣ ــ ٧٤ .

فسيبويه يربط هنا بين العلامة الإعرابية وبين المعنى، فدلالة الرفع في " جسم " و"أحلام " إنما هي تعداد صفات هؤلاء القوم وتفسيرها لا الذم والشتم ؛ ومن أجل هذا جاءت مرفوعة على القطع، أما إذا جاءت منصوبة على تقدير حذف الفعل ــ كما يقول الخليل ــ فإن ذلك يكون شتما ؛ ولذلك نراه يقول في بداية هذا الباب رابطا بين النصب ودلالة الذم والشتم : (وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصبا : " وامرأته حمالة الحطب " لم يجعل الحمالة خبرا للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكر حمالة الحطب ، شتما لها، وإن كان فعلا لا يستعمل إظهاره.)[1] وهناك مواضع أخرى في الكتاب لهذه الظاهرة يمكن تتبعها وإفرادها ببحث مستقل.

أما المقصود بالتحويل الدلالي أو التحويل في المعنى، فنحن نجد له أمثلة كثيرة عند سيبويه لكنها قد تحتاج إلى قراءة متأنية وحسن تأت حتى يمكن الكشف عنها، ومعنى هذا النوع من التحويل أن تكون الجملة في بنيتها السطحية تدل على معنى مغاير لمعنى ما تدل عليه بنيتها العميقة، كأن يكون ظاهر الجملة الخبر ــ مثلا ــ وقصدها الطلب، أو أن يكون ظاهرها الاستفهام وقصدها التحقير أو التعجب مثلا لا الاستفهام على حقيقته، ففي قول المتنبي :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام ؟

نجد أن الاستفهام ليس المقصود به الاستفهام على حقيقته من حيث هو طلب معرفة شيء مجهول بالنسبة للمستفهم، وإنما المقصود به التعجب،وعلى هذا فظاهر جملة " فكيف وصلت أنت من الزحام " الاستفهام وقصدها وعمقها التعجب .وكذلك قول العرجي :

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ؟ ليوم كريهة وسداد ثغر

فجملة " وأي فتى أضاعوا " ظاهرها الاستفهام وعمقها التعظيم والإعلاء من شأن نفسه، و في قول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير ؟

---

(١) الكتاب ٢ / ٧٠ .

نجد أن جملة " أطنين أجنحة الذباب يضير " صاهرها الاستفهام، وعمقها التحقير وهكذا. وقد أفاض البلاغيون في الحديث عن خروج الأساليب المختلفة إلى معان أخرى.وقد أشار إلى هذا النوع من التحويل الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف بقوله:(وقد يتسع مفهوم التحويل في الجملة ليشمل التحويل في المعنى أيضا بحيث تكون الجملة في ظاهرها على تركيب ويقصد به معنى تركيب آخر)[1] .

ومن أمثلة التحويل في المعنى لدى سيبويه قوله : (هذا باب ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل وذلك قولك : أتميميا مرة وقيسيا أخرى. وإنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلوّن وتنقل، فقلت : أتميميا مرة وقيسيا أخرى، كأنك قلت : أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرى.فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل،وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه، ولكنه وبّخه بذلك.)[2] .

فظاهر جملة " أتميميا مرة وقيسيا أخرى " الاستفهام، وعمقها التوبيخ، وقد ساعدت البنية العميقة للجملة السابقة على هذا التفسير فهي : أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرى، وقد تم تحويلها إلى السطح بتحويل حذف الفعل (أتحول)أي أتتحول.

أتحول (أتتحول) تميميا مرةوقيسيا أخرى ⟵ أتميميا مرة وقيسيا أخرى

وقد أغنى سياق الحال الذي قيلت فيه العبارة السابقة (وإنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلوّن وتنقل)عن ذكر الفعل.

وقد يكون لفظ الجملة الاستفهام ومعناها التنبيه كما في قول سيبويه : (وحدثنا بعض العرب أن رجلا من بني أسد قال يوم جبلة واستقبله بعير أعور فتطير منه، فقال : يابني أسد أعور وذا ناب ! فلم يرد أنيسترشدهم ليخبروه عن عوره وصحته، ولكنه نبههم، كأنه قال : أتستقبلون أعور وذا ناب ! فالاستقبال في حال تنبيهم كان واقعا، كما كان التلون والتنقل عندك ثابتين في الحال الأول، وأراد أن يثبت لهم الأعور ليحذروه.)[3] .

---

(١) من الأنماط التحويلية ص ٩٣ .

(٢) الكتاب ١ / ٣٤٣ .

(٣) الكتاب ١ / ٣٤٣ ، وانظر كذلك ١ / ٣٤٠ .

فظاهر جملة " أعور وذا ناب " الاستفهام، ولكن عمقها هو التنبيه، وقد ساعدت البنية العميقة للجملة السابقة على هذا التفسير وهي :(أتستقبلون أعور وذا ناب)، وقد تم تحويلها من العمق إلى السطح بتحويل حذف الفعل (تستقبلون) وهمزة الاستفهام، كما كان لسياق الحال أيضا دور في هذا التفسير (فالاستقبال في حال تنبيهه إياهم كان واقعا) الذي حل محل الفعل المقدر ، فكان له دور في بناء التركيب كما ترى.

وقد يكون ظاهر الجملة الخبر وعمقها الطلب، وهذا هوما عبر عنه البلاغيون بقولهم : خبرية لفظا طلبية معنى، قال سيبويه : (وإن أخبرت في هذا الباب على هذا الحد نصبت أيضا كما نصبت في حال الخبر الاسم الذي أُخذ من الفعل، وذلك قولك : تميميا قد علم الله مرة وقيسيا أخرى . فلم ترد أن تخبر القوم بأمر قد جهلوه، ولكنك أردت أن تشتمه بذلك، فصار بدلا من اللفظ بقولك : أتتمم مرة وتتقيس أخرى.)[1].

فظاهر جملة (تميميا مرة قد علم الله وقيسيا أخرى) أنها جملة خبرية، ولكن قصدها ومعناها الاستفهام، فقد خرجت من الخبر إلى الاستخبار كما يقول البلاغيون، وبنيتها العميقة هي : (أتتمم مرة وتتقيس أخرى)،وقد تحولت من العمق إلى السطح بقاعدتين تحويليتين هما :

الحذف deletion حيث حذفت الهمزة أداة الاستفهام.

الاستبدال replacement حيث استبدل الاسم المنسوب تميميا وقيسيا بالفعلين تَتَمَّمُ أي تَتَتَمَّمُ وتتقيس.

وقد يكون ظاهر الجملة الخبر وعمقها الدعاء، كما في قول سيبويه : (كما أن قولك : رحمة الله عليه، فيه معنى الدعاء كأنه قال : رحمه الله) [2] .

فظاهر جملة (رحمة الله عليه) الخبر، وعمقها وقصدهاالدعاء.ومثل ذلك قول سيبويه أيضا : (وتقول : زيدا قطع الله يده، وزيدا أمر الله عليه العيش ؛ لأن معناه : زيدا ليقطع الله يده.) [3] فظاهر جملة (زيدا قطع الله يده) الخبر وعمقها الدعاء عليه وهكذا.

---

(١) الكتاب ١ / ٣٤٥ .

(٢) الكتاب ١ / ٣١٤ .

(٣) الكتاب ١ / ١٤٢ .

وقد يكون ظاهر الجملة ولفظها النداء. وعمقها وقصدها الاستغاثة لغرض دلالي، يقول سيبويه : (هذا باب ما يكون النداء فيه مضافا إلى المنادى بحرف الإضافة وذلك في الاستغاثة والتعجب، وذلك الحرف اللام المفتوحة، وذلك قول الشاعر، وهو مهلهِل :

يالبكر أنشروا لي كليبا يالبكر أين أين الفرار

فاستغاث بهم لينشروا له كليبا. وهذا منه وعيد وتهدد. وأما قوله (يالبكر أين أين الفرار) فإنما استغاث بهم لهم، أي لم تفرون ؟! استطالة عليهم ووعيدا.)[1]

فالبيت ظاهره النداء، وقصده وعمقه الاستغاثة لغرض الوعيد والتهديد والاستهزاء والاستطالة عليهم على حد تعبير سيبويه.

المبحث الثالث : البنية العميقة وسياق الموقف ودورهما في التحليل النحوي في الكتاب

لم يكن سيبويه في تقعيده النحوي وفهم النصوص وتفسيرها يعتمد على تركيب الجمل المقالي وحسب،بل كان يعتمد كثيرا على العناصر السياقية contextual elements، والسياق المحيط بتلك الجمل والتراكيب، وعناصر الموقف الذي يتم فيه الأداء الفعلي للنص، وهوما يطلق عليه سياق الحال context of situation،أولنقل إنه لم يكن يدرس اللغة بمعزل عن سياقها الاجتماعي social context، وأهمية هذا السياق في تحديد البنية العميقة أو الأصل لكثير من العبارات والتراكيب التي تعرض أو عرض لها في الأبواب النحوية المختلفة من كتابه.

يقول سيبويه : (هذا باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي وذلك قولك : إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيئة الحاج، فقلت : مكة ورب الكعبة. حيث زكنْتَ أنه يريد مكة، كأنك قلت : يريد مكة والله.

ويجوز أن تقول : مكة والله، على قولك : أراد مكة والله، كأنك أخبرت بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمس، فقلت : مكة والله، أي أراد مكة إذ ذاك.

---

(١) الكتاب ٢ / ٢١٥ . وانظر أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور عبد القادر حسين ص ٩٢ ــ ٩٣ .

ومن ذلك قوله عز وجل : " بل ملة إبراهيم حنيفا " أي بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا، كأنه قيل لهم : اتبعوا، حين قيل لهم : كونوا هودا أو نصارى ".

أو رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس فقلت : القرطاس والله، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت : القرطاس والله، أي أصاب القرطاس.

ولورأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت : الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال. أو رأيت ضربا فقلت على وجه التفاؤل : عبد الله، أي يقع بعبد الله أو بعبد الله يكون.)[1] .

ذكر سيبويه في النص السابق مجموعة من الأمثلة المستعملة المنطوقة في سياق حي وموقف تجري فيه هذه الأمثلة، ثم ذكر البنى العميقة لتلك الأمثلة، والقاعدة التحويلية التي تربط الظاهر بالقصد أو السطح بالعمق، معتمدا في ذلك على سياق الحال أو الموقف الذي جرى فيه الحدث الكلامي ؛ فعبارة : (مكة ورب الكعبة) أصلها المفترض أو بنيتها العميقة هي : يريد مكة والله، وقد تم الربط بين البنية العميقة والسطحية بتحويل حذف الفعل (يريد) بصيغة المضارع، وقد يكون هذا الفعل المحذوف بصيغة الماضي، فتكون البنية العميقة للعبارة السابقة (أراد مكة والله)، وذلك إذا اختلف سياق الموقف الذي جرت فيه العبارة ؛ ولذلك يقول سيبويه : (كأنك أخبرت بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمس) وهنا نلاحظ تعدد الافتراض في تقدير البنية العميقة، وأن سياق الموقف يساعد على التفسير، ويستمر سيبويه في تقديم الأمثلة المنطوقة ذاكرا بنيتها العميقة أو أصلها المتخيل، وذاكرا سياق الحال الذي عليه المعوّل في التقدير وذكر الأصل بما ينوب عن المقال اللغوي ؛ فعبارة (القرطاس والله) أصلها : يصيب القرطاس، وقد تحولت من القصد إلى الظاهر بتحويل حذف الفعل (يصيب)، وقد أغنى عن ذكر هذا الفعل والتلفظ به سياق الحال (أو رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس)، وهو هنا سياق رؤية ومشاهدة حال، ولذلك قدر سيبويه الفعل المحذوف بصيغة المضارع، وفي حالة إجراء العبارة السابقة في سياق

---

(١) الكتاب ١ / ٢٥٧ ، وانظر كذلك ١ / ٢٥٣ ــ ٢٥٦ ، ٢٨٠ ــ ٢٩٨ .

سمعي، فإن الفعل المقدر يكون بصيغة الماضي (أصاب) ؛ ولذلك يقول سيبويه : (وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت : القرطاس والله، أي أصاب القرطاس.) وهنا أيضا تعدد افتراض في البنية العميقة للعبارة السابقة .

وعبارة (الهلال ورب الكعبة) أصلها : (أبصروا الهلال) وقد تحولت من العمق إلى السطح بتحويل حذف الفعل (أبصروا)، والسبب في عملية الحذف التحويلية هذه هو سياق الحال (لو رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا) الذي أغنى عن ذكر الفعل المقدر.

ومن أمثلة اعتماد سيبويه على سياق الموقف أو الحال في تحليله النحوي وتقديره للبنى العميقة للتراكيب قوله : (هذا باب يكون فيه المبتدأ مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا، وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت : عبد الله وربي، كأنك قلت ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله. أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت : زيد وربي. أو مسست جسدا أو شممت ريحا فقلت : زيد، أو المسك. أو ذقت طعاما فقلت العسل.)[1] .

نلاحظ في هذا النص أن سياق الموقف سواء أكان سياق رؤية أو سمع أو شم أو لمس قد ساهم في بناء التراكيب وتقدير البنية العميقة، فالأصل المجرد للعبارات: عبد الله وربي، زيد وربي، زيدٌ، المسك، العسل، هي على الترتيب : هذا عبد الله وربي، هذا زيد وربي، هذا زيد، هذا المسك ، هذا العسل، وقد تم التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية بتحويل حذف المبتدأ (هذا) في كل ما سبق، وقد أغنى سياق الموقف عن ذكر هذا المبتدأ المقدر.

وكما يولي سيبويه سياق الحال دورا في بناء التراكيب وتقدير البنى التحتية لتلك التراكيب، نراه يولي المخاطب كذلك وهو أحد العناصر السياقية أهمية في بناء تلك التراكيب، يقول في باب ما جرى على موضع النفي لا على الحرف الذي عمل في المنفي : (وأما قول جرير :

يا صاحبيّ دنا الرواح فسيرا لا كالعشية زائرا ومزورا

---

(١) الكتاب ٢ / ١٣٠ .

فلا يكون إلا نصبا ؛ من قبل أن العشية ليست بالزائر، وإنما أراد : لا أرى كالعشية زائرا... ولكنه يترك الإظهار استغناء ؛ لأن المخاطب يعلم أن هذا الموضع إنما يضمر فيه هذا الفعل، لكثرة استعمالهم إياه)[1] .

نلاحظ في النص السابق أن البنية العميقة توجّه التحليل النحوي ؛ إذ لا يجوز إلا النصب في قول جرير : (لا كالعشية زائرا) لأن العشية ليست بالزائر حيث إن البنية العميقة للعبارة السابقةكما يذكر سيبويه هي : لا أرى كالعشية زائرا، وقد تم التوفيق بين البنيتين بتحويل حذف الفعل (أرى)، والذي سهل ترك الفعل علم المخاطب بأن هذا الموضع إنما يضمر فيه هذا الفعل، وهكذا يكون للمخاطب الذي هو أحد عناصر السياق دور في تقدير البنية العميقة للعبارة المنطوقة.

ومن أمثلة ذلك أيضا في الكتاب قول سيبويه في باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلا : (ومن ذلك قوله عز وجل : " ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم "، كأنه قال : ولا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم. ولم يذكر البخل اجتزاء بعلم المخاطب بأنه البخل لذكره يبخلون.

ومثل ذلك قول العرب : " من كذب كان شرا له "يريد : كان الكذب شرا له، إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب، لقوله كذب في أول حديثه ؛ فصار هو وأخواتها هنا بمنزلة ما إذا كانت لغوا ، في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر.)[2] .

هنا يورد سيبويه آية قرآنية وقولا للعرب، ويذكر بنيتهما العميقة معتمدا في ذلك على عنصر من عناصر السياق وهو المخاطب، ومعتمدا أيضا على السياق اللغوي linguistic context ؛ فالبنية العميقة لقوله تعالى : " ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله " هي : ولا يحسبن الذين يبخلون البخل ، وقد تم التحويل من العمق إلى السطح بتحويل حذف (البخل)، اجتزاء بعلم المخاطب (العنصر السياقي) ، ولذكره يبخلون (السياق اللغوي أو المقامي)، وكذا في قول العرب : "

---

(١) الكتاب ٢ / ٢٩٣، ٢٩٤ .

(٢) الكتاب ٢ / ٣٩١ ، وانظر كذلك ٢ / ٣٤٤ ــ ٣٤٥ ، ١ / ٢٨٣ .

من كذب كان شرا له " البنية العميقة له هي : كان الكذب شرا له، وقد تم التوفيق بين السطح المنطوق، والعمق المقدر بتحويل الحذف deletion، حيث حذف اسم كان (الكذب) استغناء بعلم المخاطب، وبدليل المقال اللغوي (لقوله كذب في أول الحديث).

خاتمة :

كان الهدف من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على بعض جوانب التفكير النحوي العربي القديم من منظور لساني حديث في محاولة للربط بين التراث النحوي العربي والفكراللغوي المعاصر ، وقد أفضت بنا قراءة كتاب سيبويه قراءة علمية عميقة علي هدي من بعض أصول النظرية التحويلية التوليدية لصاحبها الألسني الأمريكي نوامتشومسكي إلى الاعتزاز بما خلفه نحاتنا من قضايا لغوية تستحق منا كل تقدير وإكبار ، كما أفضت بنا أيضا إلى تبين أن سيبويه كان على درجة كبيرة من الوعي منذ ما يزيد على ألف عام بما أفرزته النظريات اللغوية الحديثة، وإن أخذ هذا الإفراز مسميات مختلفةلدى سيبويه ، وهو ما يؤكد سبقه لهذه النظريات ، فقد عرض كثيرا من القضايا النحوية واللغوية عرضا علميا متطورا في وقته ، وهو ما يعني أيضا أن مفردات النظريات اللغوية الحديثة ، وفي مقدمتها النظرية التوليدية التحويلية لم تكن بعيدة كل البعد عن تراثنا النحوي، وكل ما فعله البحث أو حاول أن يفعله هو إعادة قراءة بعض هذا التراث ممثلا في الكتاب على هدي من التطور اللغوي العلمي، ولم يكن الهدف من وراء ذلك فرض نظرية لغوية حديثة على بناء التفكير اللغوي العربي ، ولكننا حاولنا أن نعالج بعض قضاياه في ضوء تطورات الدرس اللغوي الحديث، دونما تعنت في الربط بين التفكيرين التفكير اللغوي العربي ، والتفكير اللغوي الغربي .

كما أفضت بنا القراءة العلمية السابقة للكتاب إلى أن طريقة سيبويه في معالجاته النحوية كانتتقوم على أساس أن للكلام المنطوق بنيتين بنية عميقة ، وبنية سطحية ، وقد كان سيبويه يحدث التوفيق بين هاتين البنيتين بوسائل أُطلق عليها فيما بعد في الدرس اللساني الحديث اسم القوانين التحويلية دون ذكر صريح منه لهذه المصطلحات

التي أخذت تسميات تقترب منها كالعدول والتقدير والتأويل والمعنى وغيرها ،بحيث يمكن القول إن سيبويه أدار مباحثه النحوية في الكتاب على هذه الفكرة ، كما كشفت القراءة السابقة أيضا عن نوع جديد من التحويل سبق إليه سيبويه هو التحويل الدلالي أو التحويل في المعنى ، كما كان سيبويه حريصا على أن يدير حديثه ومناقشاته وتحليلاته النحوية من خلال سياق حي يجري فيه الموقف الكلامي ، وقد كان لسياق الموقف أثر في بناء التراكيب ومساهمة في تخيل الأصل المفترض لتلك التراكيب .

وبعد ، فإننا محتاجون إلي العودة الواعية متسلحين ببعض أصول النظريات اللغوية الحديثة إلى تراثنا النحوي العربي الشامخ علنا نضيف إليه أبعادا معرفية جديدة ، ونقدم وصفا ألسنيا للغتنا العربية الخالدة .

ثبت المراجع والمصادر

ـ أثر النحاة في البحث البلاغي د . عبد القادر حسين(دار غريب ـ القاهرة تاريخ النشر ١٩٩٨م .)

ـ تاريخ النحو لعلي النجدي ناصف (دار المعارف . القاهرة (بدون تاريخ).

ـ التراكيب المقاربة في ضوء كتاب الأصول د . طه الجندي .ضمن أبحاث كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص) فبراير ٢٠٠٥ م . الجزء الأول . كلية دار العلوم . جامعة القاهرة .

ـ سيبويه إمام النحاة علي النجدي ناصف (علم الكتب ـ القاهرة (بدون تاريخ)

ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل الهمداني المصري . المكتبة العصرية . بيروت . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة ١٩٩٨ م .

ـ شرح المفصل لابن يعيش . عالم الكتب . بيروت (بدون تاريخ) .

ـ في بناء الجملة العربية د . محمد حماسة عبد اللطيف (دار القلم . الكويت . الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .)

ـ قضايا ألسنية تطبيقية . دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية د . ميشال زكريا(دار العلم للملايين. الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .)

ـ القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي د . حسام البهنساوي(مكتبة الثقافة الدينية (بدون تاريخ) .
ـ قواعد تحويلية للغة العربية د . محمد على الخولي (دار المريخ . المملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى ١٩٨١ م .)
ـ كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تحقيق عبد السلام محمد هارون (دار الجيل . بيروت . الطبعة الأولى .)
ـ مجالس العلماء لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي . تحقيق : عبد السلام محمد هارون (دار الخانجي بالقاهرة . الطبعة الثالثة ١٩٩٩م)
ـ مقالات في اللغة والأدب د . تمام حسان . الجزء الثاني (عالم الكتب . الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م .)
ـ من الأنماط التحويلية في النحو العربي د . محمد حماسة عبد الطيف (دار غريب. القاهرة . تارخ النشر ٢٠٠٦ م .)
ـ النحو العربي والدرس الحديث . بحث في المنهج د . عبده الراجحي (دار النهضة العربية . طبعة سنة ١٩٧٩ م .)
ـ نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية د . مازن الوعر (دار طلاس . دمشق . الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .)
ـ نظرية تشومسكي اللغوية لجون ليونز ترجمة د . حلمي خليل (دار المعرفة الجامعية . طبعة سنة ١٩٩٥ م .)

* *